اجتهادات
السرطان .. أم السم؟

بلغت الإثارة ذروتها فى قصة وفاة الشاعر الشيلى العالمى الحائز على جائزة نوبل للآداب عام 1971 بابلونيرودا. أعلن الخبراء الدوليون، الذين استعان بهم القضاء فى شيلى لحسم سبب وفاته، أنهم باتوا متأكدين من أنه لم يمت نتيجة سرطان البروستاتا، بخلاف ما ورد فى وثيقة الوفاة الرسمية عام 1973.

كان نيرودا أحد أشهر شعراء العالم فى عصره. أبدع شعرا جميلا على غير عادة الشعراء الملتزمين أيديولوجيا وحزبيا. فقد اعتنق الماركسية، وآمن بها، وانضم إلى حزب شيوعي. ولكن شعره لم يتأثر كلياً بالأسر الذى يقع فيه الشاعر الملتزم حزبيا وأيديولوجيا. ورغم ذلك كان مُلهما للتيارات اليسارية فى غير قليل من البلدان، ومنها مصر التى مازالت ذاكرة الفن فيها تحفظ أغنية مؤثرة كتبها الشاعر الكبير سمير عبد الباقي، وغناها الفنان المبدع الراحل عدلى فخري. خاطبت الأغنية نيرودا: (صوتك فوق موج البحور لقلوبنا سارى .. زى ابتسامة الطفل فى القلب اليساري).

ساند نيرودا بالطبع التحول الذى أحدثه الرئيس سلفادور الليندى نحو الاشتراكية بعد فوزه فى الانتخابات، إلى أن حدث الانقلاب الذى دعمته المخابرات المركزية الأمريكية فى سبتمبر 1973. وكان نيرودا مريضا فى

المستشفي، وتوفى بعد 12 يوما على ذلك الانقلاب، وأُعلن أنه مات بسبب تفاقم إصابته بالسرطان.

ولذلك ظلت هناك شكوك فى سبب وفاته، وخصوصا بعد أن أعلن سائقه أنه حُقن فى بطنه حين كان نائما فى اليوم الذى توفى فيه. وقرر القضاء قبل أربع سنوات استخراج رفاته وإجراء اختبارات طبية عليها للتأكد من سبب وفاته. ودعمت الفحوص الأولية الاعتقاد فى أنه قُتل بمادة سامة، وأن إصابته بالسرطان لم تكن قد بلغت المدى الذى يؤدى إلى الوفاة. وتحول هذا الاعتقاد إلى يقين قبل أيام، إذ أعلن الطبيب أوريليو لونا باسم فريق الخبراء المكلفين بتحديد سبب وفاته أنهم صاروا متأكدين أنه لم يمت نتيجة إصابته بالسرطان، وأن الاختبارات التى أجروها أسفرت عن اكتشاف نوع غامض من البكتيريا العنقودية يعتقدون أنه حُقن بها وأدت إلى تسميم جسده.

ويبدو، على هذا النحو، أن الغموض الذى ظل محيطا بوفاة نيرودا لأكثر من أربعة عقود سينجلى فى وقت قريب، بعد أن بدا أن الحقيقة دُفنت معه.